

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول : { هذا ما لدي عتيد } أي معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد : هذا كلام الملك السائق يقول ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليفة بالعدل فيقول : { ألقيا في جهنم كل كفار عنيد } وقد اختلف النحاة في قوله : { ألقيا } فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر :

(فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ... وإن تتركاني أحمر عرضا ممنعا) .

وقيل : بل هي نون التأكيد سهلت إلى الألف وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير { ألقيا في جهنم كل كفار عنيد } أي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك { مناع للخير } أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا يبر فيه ولا صلة ولا صدقة { معتد } أي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد وقال قتادة : معتد في منطقته وسيره وأمره { مريب } أي شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره { الذي جعل مع الله إلهها آخر } أي أشرك بالله فعبد معه غيره { فألقياه في العذاب الشديد } وقد تقدم في الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلهها آخر وبالمصورين ثم تنطوي عليهم قال الإمام أحمد : حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري أنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلهها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم] .

{ قال قرينه } قال ابن عباس هما ومجاهد وقتادة وغيرهم : هو الشيطان الذي وكل به { ربنا ما أطغيته } أي يقول عن الإنسان الذي قد أوفى القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه فيقول : { ربنا ما أطغيته } أي ما أضلته { ولكن كان في ضلال بعيد } أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله : وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم

بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم { وقوله تبارك وتعالى : { قال لا تختصموا لدي } يقول الرب D للإنسي وقرينه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الإنسي يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان : { ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد } أي عن منهج الحق فيقول الرب D لهما : { لا تختصموا لدي } أي عندي { وقد قدمت إليكم بالوعيد } أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيئات والبراهين { ما يبدل القول لدي } قال مجاهد : يعني قد قضيت ما أنا قاض { وما أنا بظلام للعبيد } أي لست أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه